

أوراسيا ريفيو: هل تشتعل التوترات بين إثيوبيا ومصر؟

الأربعاء 17 أبريل 2024 10:05 م

في تحليل نشره موقع "أوراسيا ريفيو"، يسلط "مارتن شيرمان" الضوء على صراع محتمل بين مصر وإثيوبيا بسبب سد النهضة. ولفت التحليل إلى أن النزاع بين حكومتين متحالفتين مع الغرب في أفريقيا، والذي تم تجاهله إلى حد كبير في التعليقات الغربية، يهدد بالتحول إلى صراع مفتوح. ويركز النزاع على توزيع مياه أقوى نظام أنهار في القارة بين الدولتين الثانية والثالثة من حيث عدد السكان - إثيوبيا ومصر، على التوالي. جذور التوتر ذات شقين، أحدهما قانوني والآخر هندسي - الأول يستلزم وثيقة قانونية عمرها ما يقرب من مائة عام. والآخر عبارة عن مشروع طاقة كهرومائية ضخم في الوديان العميقة للمرتفعات الإثيوبية.

الكهرباء الإثيوبية مقابل المياه المصرية

يوفر توليد الطاقة المحتمل من السد لإثيوبيا فرصة لزيادة إمدادات الكهرباء بشكل كبير في بلد يعاني من نقص حاد في الطاقة. في الواقع، وفقاً لإحصاءات البنك الدولي لعام 2021، بالكاد يحصل نصف إجمالي السكان (54.2%) وأقل بكثير من سكان الريف (42.8%) على الطاقة الكهربائية. على الرغم من حقيقة أن الاقتصاد الإثيوبي كان في السنوات الأخيرة واحداً من أسرع الاقتصادات نمواً في العالم - مع نمو الوصول إلى الطاقة الكهربائية بما يزيد عن 400 بالمائة في العقد الأولين من هذا القرن، إلا أنه لا يزال يفتقر إلى بنية تحتية كافية للمدق.

ومن ناحية أخرى، قال التحليل إن المصريون ينظرون بخوف شديد إلى استكمال مشروع قد يعيق تدفق النهر إلى بلادهم؛ حيث يعانون من نقص خطير في المياه بينما تعتمد بشكل كبير على نهر النيل لإمدادها بالمياه. في الواقع، يأتي 85% من مياه مصر من النيل الأزرق، الذي ينبع من إثيوبيا، وأقل من 7% من الموارد المحلية الأخرى، والتي تشمل المياه الجوفية، والنفائات السائلة المعاد تدويرها، والمياه المحلاة، والأمطار المتفرقة على طول الساحل بشكل رئيسي. وتنعكس خطورة المأزق المائي الاستراتيجي المصري في تلك الأرقام المثيرة للقلق: خلال العقود الستة الماضية، تضاعف عدد سكان مصر أربع مرات (من 27 مليون نسمة إلى حوالي 115 مليون نسمة، مما أدى إلى انخفاض نصيب الفرد السنوي من إمدادات المياه إلى 600-700 نسمة - وهو ربع ما كان عليه من 660 سم إلى 2500 سم). علاوة على ذلك، فإن مصر تقع بالفعل تحت عتبة الفقر المائي التي حددتها الأمم المتحدة، وبحلول عام 2025 تحذر المنظمة من أنها ستقترب من مستوى منخفض للغاية، وهو ما يعتبره خبراء المياه بمثابة ظروف "الندرة المطلقة".

اشتد الصراع طويل الأمد على مياه النيل بين دولتي المنبع والمصب في عام 2011. ومع تقلبات الصعود والهبوط، شمل الصراع مفاوضات مباشرة بين الحكومتين المصرية والإثيوبية، ومحاولات وساطة بمشاركة الاتحاد الأفريقي وجنوب أفريقيا. وتبادل طويل التهديدات. اندلعت التوترات مرة أخرى في فبراير 2022 عندما بدأت أديس أبابا تشغيل أول توربينات السد الثلاثة عشر، وبدأت من جانب واحد في إنتاج الكهرباء، دون التشاور أو التنسيق مع أي من دول النيل الأخرى. وتصاعدت التوترات مرة أخرى مؤخراً عندما أمدت التقارير أن إثيوبيا أكملت ملء السد. وبالعودة إلى ما يزيد على أربعة عقود، أعلنت القاهرة أن المياه يمكن أن تصبح سبباً للحرب، كما عكس ذلك الرئيس الأسبق "أنور السادات"، الذي أعلن بصرامة: "الأمر الوحيد الذي يمكن أن يأخذ مصر إلى الحرب مرة أخرى هو الماء". وبالمثل، بعد عقد من الزمن، حذر وزير الخارجية المصري آنذاك "بطرس غالي" - الذي أصبح فيما بعد الأمين العام للأمم المتحدة - من أن الحرب القادمة في الشرق الأوسط لن تكون بسبب السياسة، بل على مياه النيل. وهكذا، استشهد ستراتفور برسالة بتاريخ 1 يونيو 2010، والتي جاء فيها أن مصدرًا أمينًا استخباراتيًا مصريًا رفيع المستوى، على اتصال مباشر ومنظم مع الرئيس الأسبق "مبارك" ورئيس المخابرات آنذاك "عمر سليمان" قال: "إذا كان الأمر يتعلق بأزمة مع إثيوبيا، فسنرسل طائرة لقصف السد ونعود في يوم واحد، بكل بساطة. أو يمكننا إرسال قواتنا الخاصة لسد/تخريب السد".

لعبة نموذجية محصلتها صفر

بعد الإطاحة بالرئيس الراحل "محمد مرسي" بعد ذلك بوقت قصير، أكد قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي "أنه لا يمكن لأحد أن يأخذ قطرة واحدة من ماء مصر، وإذا حدث ذلك فسيكون هناك عدم استقرار لا يمكن تصوره في المنطقة". ومع ذلك، وعلى الرغم من التهديد الكبير من جانب القاهرة، أثبتت الجهود الدبلوماسية اللاحقة عدم جدواها في حل ما يُعد في الأساس "لعبة محصلتها صفر". ففي نهاية المطاف، مع وجود إمدادات ثابتة (في الواقع متناقصة) من المياه وزيادة عدد السكان (وبالتالي الطلب على المياه) في دول النيل، فإن مكاسب دول المنبع (مثل إثيوبيا) يجب أن تأتي حتماً على حساب دول المصب (مثل مصر). ووفقاً لأحد الخبراء، لا تزال حصة مصر من نهر النيل أقل بكثير من احتياجاتها السنوية من المياه. الزيادة المستمرة في الطلب على المياه والانخفاض المتناسب في إمداداتها يجعل مستقبل مصر أكثر قتامة. في نفس الوقت تقريباً الذي بدأ فيه بناء سد النهضة، بدأت أحداث مهمة - وإن كانت غير مرتبطة سببياً - في الظهور على بعد حوالي 2000 كيلومتر إلى الشمال، في شبه جزيرة سيناء المتاخمة للحدود الجنوبية الطويلة لدولة الاحتلال، والتي عجلت بشكل متزايد من مخاطر أمنية جسيمة على كل من القاهرة والقدس. إذا استمر المأزق مع إثيوبيا، واستمر الوضع الخطير للمياه في مصر في التدهور، فقد تضطر القاهرة إلى إعطاء الأولوية لرفاهية الملايين في دلتا النيل على مساعيها للحفاظ على سيطرتها على شبه جزيرة سيناء.

مسألة القوة العسكرية

وأشار التقرير إلى أن القوات المسلحة المصرية تتفوق بكثير على القوات الإثيوبية. وفي الواقع، في العديد من مقاييس القوة العسكرية - إن لم يكن في معظمها - يتفوق المصريون على الإثيوبيين بعشرة أضعاف أو أكثر. وبالتالي، فإن الميزانية العسكرية للقاهرة تبلغ حوالي 10 مليار دولار، في حين أن ميزانية أديس أبابا أقل بكثير من مليار دولار. ومن حيث

إجمالي عدد الطائرات، تتفوق مصر على إثيوبيا بأكثر من ألف إلى أقل من مائة [] ومن حيث المقاتلين، فإن النسبة تقارب 250 إلى أقل من خمسة وعشرين [] وبالمثل، تتفوق القاهرة على أديس أبابا في طائرات الهليكوبتر بما يقرب من 250 إلى 31 طائرة، و100 إلى 6 عندما يتعلق الأمر بطائرات الهليكوبتر الهجومية [] وفيما يتعلق بالقوات البرية، فإن الأمر نفسه ينطبق إلى حد كبير [] ففي حين يمتلك الجيش المصري ما يقرب من 5500 دبابة، فإن الجيش الإثيوبي لديه أقل من 700 دبابة [] أما بالنسبة للمدفعية، فتمتلك مصر حوالي 3000 قطعة (نصفها تقريباً ذاتية الدفع) وإثيوبيا لديها بالكاد 700، منها ما يزيد قليلاً عن ستين طائرة ذاتية الدفع [] وبطبيعة الحال، كدولة غير ساحلية، لا تمتلك إثيوبيا قوات بحرية أو غيرها من القوات البحرية ذات أي أهمية، في حين أن البحرية المصرية تضم عشرين سفينة حربية سطحية كبيرة (ثلاثة عشر فرقاطة وسبع طرادات) بالإضافة إلى ثمان غواصات [] وهذا، إلى جانب حاملتي طائرات هليكوبتر، ما يمنح مصر ميزة واضحة على إثيوبيا في قدرتها على استعراض القوة العسكرية [] القدرة على إبراز القوة

في حين أن القوات المسلحة المصرية تتفوق من الناحية النظرية على تلك الموجودة في إثيوبيا، إلا أنه في الصراع الفعلي، قد تكون الأمور أكثر تعقيداً قليلاً من الأرقام [] ومن الجدير بالملاحظة أنه في الصراع العسكري الوحيد المسجل بين البلدين (1874-1876)، تعرضت مصر لهزيمة ساحقة []

أضف إلى ذلك أن مصر ستواجه العديد من العقبات الكبيرة في محاولة تدمير أو شل سد النهضة، أو تخويف الإثيوبيين بالوسائل العسكرية فيما يتعلق بتشغيله []

ففي نهاية المطاف، سيتعين على مصر أن تنشر قوتها العسكرية - سواء كانت قوات جوية أو قوات خاصة - على مسافة كبيرة [] ومع ذلك، يجب على المتشككين ملاحظة أن مصر أثبتت في الماضي أنها راغبة وقادرة على نشر قوات عسكرية على مسافات كبيرة من الوطن، وإن كان ذلك بنجاح أقل من السابق في القتال الفعلي []

في أوائل الستينيات، أرسلت القاهرة ما يصل إلى 70 ألف جندي إلى اليمن الشمالي آنذاك - تقريباً نفس المسافة التي يبعدها سد النهضة - لأسباب أيديولوجية سياسية وليست وجودية (أي دعم القوات الجمهورية ضد الملكيين). وبشكل ملحوظ، هناك تقارير تفيد بأن القاهرة منخرطة في بحث نشط عن قواعد عسكرية في مختلف البلدان المتاخمة لإثيوبيا، مثل إريتريا وجنوب السودان وأرض الصومال وجيبوتي []

وبناء على ذلك، سيكون من الحماقة استبعاد إمكانية القيام بعملية عسكرية ضد إثيوبيا للدفاع عما تعتبره مصلحة وطنية حيوية [] يمكن القول إن أحد الطرق لمثل هذه العملية سيكون عبر السودان، الذي لديه موقف أكثر تناقضاً تجاه سد النهضة، حيث من المرجح أن يجني العديد من الفوائد من المشروع - بما في ذلك تعزيز السيطرة على الفيضانات وزيادة إمدادات الكهرباء [] علاوة على ذلك، من المرجح أن يعاني بشدة من عواقب الهجوم على الخزان [] وفي الواقع، إذا نجحت مصر في إحداث أضرار واسعة النطاق لجدار السد، فهناك خطر حقيقي من حدوث فيضانات شديدة في مناطق واسعة في اتجاه مجرى النهر، وخاصة في جنوب السودان، الأمر الذي ينطوي على تداعيات دبلوماسية خطيرة على القاهرة []

وأوضح التحليل أنه بينما تترنح العملية الدبلوماسية في عقدها الثاني، وتتأرجح من الفشل إلى الطريق المسدود، تواجه القاهرة احتمالاً حقيقياً لتصعيد التوترات مع أديس أبابا، والتي قد تشتعل، أو لا تشتعل، وتتحول إلى أعمال عنف فعلية [] وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن حوالي 95% من سكان البلاد بأكملها يتجمعون حول نهر النيل ودلتاه، بينما يقم حوالي 1% فقط في شبه جزيرة سيناء والصحاري الأخرى في البلاد [] وبناءً على ذلك، فإن شبح انخفاض تدفق نهر النيل، خاصة في وقت الجفاف، سيجبر القاهرة على الاستعداد لمثل هذا الاحتمال "الأسوأ" - وهو استنزاف الموارد من مناطق أخرى من الصراع المحتمل []

<https://www.eurasiareview.com/08042024-damming-the-blue-nile-will-ethiopian-egyptian-tensions-ignite-analysis>